التصوير والجمال

ندع الحرب واوزارها ونلتفت الى موضوع آخر نهدي اليهِ قدوم مصور ماهر في حفر الصور الى هذهِ العاصمة وهو فن تصوير الاشخاص بحيث تكون الصورة منطبقة على الاصل تظهر فيها هيئة المصوَّر وملامحهُ وما يبدو في وجهه عادةً مما يعرف بهِ ويمتاز على غيرهِ ولا سيما اذا كان جميل الطلعة . فان الصور الشمسية لا تفي بذلك غالبًا لانها تخفي لون البشرة وتستر بعض الملامح التي يمتاز بها الجميل حتى ان جميل المنظر يظهر فيها احيانًا ولا لمحة جمال على وجههِ والذي لا يُعَدُّ جميلاً يظهر فيها وقد استجمع لهُ الجمال كلهُ

لا يعلم بالتحقيق اي امَّة سبقت غيرها الى فن التصوير لكن وُجد في المدافن المصرية صور كثيرة من عهد اليونان والرومان بعضها صور رجال وبعضها صور نساء والمصوَّرون في اعمار مختلفة اولاد وشبان وكهول وشيوخ ولهم هيآت وملامح مختلفة فلا يعقل الاَّ ان تلك الصور كانت تمثلهم حقيقةً . هذهِ هي اقدم صور الاشخاص الباقية الى الآن اما تماثيلهم فاقدم من ذلك كثيرًا . ولكن جاء في التاريخ ما يدلُّ صريحًا على ان تصوير الاشخاص كان اقدم من ذلك فقد جاء فيهِ ان بانينوس صوَّر معركة ماراثون التي قهر فيها اليونان جنود الفرس سنة ٤٩٠ قبل المسيح وكان فيها رسوم قواد الاثينيين وقواد البرابرة ولكن لا دليل على ان رسومها كانت منطبقة على الاصل لان المصوِّر صورها بعد موت اصحابها ولعلهُ اكتفى برسم ملابسهم واسلحتهم كما كانت او كما يعهد فيها ورسم الوجوه كما يتصوَّرها اهل زمانهِ . ويقال ان المصور ميكون ساعدهُ في تصوير هذه الصورة وجعل قوَّاد البرابرة اكبر قامة من قوَّاد اليونان فقوَّم ثلاثين منّى اي نحو مئة جنيه فلو كانت الصور حقيقية ما حدث ذلك

واشهر مصوري القدماء ابلّس مصور الاسكندر المكدوني ويقال انهُ صور الاسكندر مرة صورة اعطاهُ عليها ما يزيد على خمسين الف جنيه . ويحكى عن هذا المصور انهُ كان يعرض صورهُ ويقف وراءها مختفيًا ليسمع ما يقولهُ الناس في انتقادها فيصلحها واتفق انهُ عرض مرة صورة فمرَّ بها اسكاف وانتقد شكل الحذاء ولما ذهب خرج ابلّس من مخبإهِ واصلح الحذاء كما اشار الاسكاف . ثم مرَّ الاسكاف في اليوم التالي ورأى الحذاء مصلحًا فحملهُ الغرور على انتقاد شكل الساق فخرج اليهِ ابلس وقال لهُ "ابقَ في الحذاء" فذهبت مثلاً

ويقال ايضًا ان الاسكندر زارهُ مرةً في بيتهِ واخذ يتكلم عن التصوير كلامًا يدل على

جهلة هذا الناس فانهرة ايلس وقال اصمت لاني اسمع الاولاد الذين يزجون الادهان يضحكون عليك

وشاع تصوير الناس في زمن الجمهورية الرومانية حتى كان ابناء الاشراف يتنون تسهم تماثيلهم الصور لسلافهم المحفوظة عندهم ولم يكن يسمح لاحد ان يتصور ما لم يكن من الاشراف او من الذين لهم شأن كبير بين قومهم كالمؤلفين ونحوهم. وكان المؤلفون يضعون صورهم في صدر كتبهم كما يفعل بعضهم الآن

ولقد كثر مصورو الاشخاص في هذا العصر ولكن الفاحصين منهم قليل جداً. فقال بعضهم ان مظاهر مقالي الوجه اهم مما في فن التصوير فان المعاني تدل على اخلاق الانسان فيجب ان يصور ويمثل وهو في حالة السكينة غير منفعل بانفعال نفساني لان احسن صورة يتلقاها الخيال امارة من الامارات التي تعرض للانسان في بعض الاحيان ولا تكون في وجهه دواماً ولا سيما اذا ارتجلها المصور من تلقاء نفسه كأن يصور الم تاسماً والعينان لا تدلان على التبسم ويصور العينين في هيئة القلق او التفكير والجبين لا يدل على ذلك. ثم ان ملامح الوجه تتوقف على لونه كما تتوقف على شكله فلذا لم يحسن المصور وضعها ومحاكاة الطبيعة بها افسد الصورة وهو يحاول اصلاحها

وقال آخر ان حسن الصور يتوقف على المصور كما يتوقف على التصوير فيجب ان يحاس في محاكاته الطبيعة غير متصنع ولا متكلف شيئاً

ويجب على من يتصنع صورته ان لا يلبس ثياباً يتقيد بها في وقت الى آخر لئلا يستقبحها العين وتستقبح الصورة معها كالعمة والطربوش واشكال البرانيط والازياء الغريبة كالاكمام الواسعة التي كان الناس يلبسونها منذ عهد قريب والطراطير التي كن يضعنها على رؤوسهن في اوائل القرن الماضي ولبعض الازياء التي تتغير من عام الى آخر مما كانت شيئاً لحسن النساء او في لبس الرجال ولهذا يختار تصوير الرامن والعنق وشيء من الصدر مكشوفة كل الابان لان الوجه يجب ان يكون الدلالة على الرأس ولا يريد تعرفها باللباس فالتالي وكل ما يضاف الى الصورة مما تتجه النظر اليه يحط من قيمتها كصورة تخصص اذ تصير المراد توجيه النظر الى ما فيها من تكمل الملابس وانواع الحلي والتاشين. على هذا الاسلوب جرى المصور الانكليزي الذي كان من اتبع مصوري القرن الثامن عشر في تصوير الاشخاص كما يرى في الصورة المقابلة وهي صورة احسن صورها على اسلوب بسيط جداً اكسبهما جمالاً فوق جمالها الفطري حتى يضرب المثل بجمال صورتها

وقد اشتهر في هذا العصر مصور آخر للاشخاص وهو المستر السن روبرتس فما تجد جميلة من جميلات الانكليز الاَّ وجلست لهُ فصورها صورة او اكثر على غاية البساطة والغالب انهُ يكتفي بتصوير الراس والعنق والنحر وشيء من الصدر واذا صوَّر الجسم كلهُ صوَّر وراءهُ اشجارًا وتلالاً كأن الشخص المصوَّر واقف في غاب او بستان والبس البدن لباسًا رومانيًا بسيطًا ولا يضع شيئًا على الراس الاَّ في الصور الخيالية فيختارهُ حينئذٍ مما يزيد بهِ جمال الوجه ظهورًا

ومما يمتاز بهِ هذا المصور انهُ يحدِّث من يجلس لهُ للتصوير حديثًا فكاهيًا دائمًا ما دام جالسًا امامهُ حتى يصورهُ وهو على تمام الرضا والسرور. ولا يكون جمال الوجه على اتمهِ الاَّ حينما يشمل السرور النفس

وما يقال عن مهارة الذين يصورون الاشخاص بالزيت يقال عن مهارة الذين يصورونهم تصويرًا شمسيًا فان آلة التصوير كالمرآت ترسم المرئيات كما هي تمامًا من غير زيادة ولا نقصان الاَّ في اخفائها الالوان وجعلها كلها سوداء او بيضاء . لكن هيئة المصوَّر تختلف كثيرًا حسب بشاشة وجههِ او عبوستهِ حالما تؤخذ صورتهُ وحسب الوضع الذي يجلس فيهِ امام آلة التصوير. والبراعة في ذلك ليست بالامر السهل فلا يشتهر المصوِّر ما لم يعرف كيف يجلس زبائنهُ امامهُ وكيف يحكِّم النور والظل عليهم وكيف يلتفت اليهم ويحادثهم حتى يكون في وجوههم من البشاشة والطلاقة او من العبوسة والصرامة ما هو غالب عليهم

ولبعض النساء جمال رائع برع مصورو الشمس في تصويرهِ حتى صار الناس يتهافتون على ابتياع صورهنَّ . وهنَّ يربحن من ذلك ربحًا طائلاً فمنهنَّ سيدة اسمها مسز لنجتري بيع ثمانمئة الف صورة فوتوغرافية من صورها باعها المصورون وباعة الصور واعطوها جانبًا من الربح قبلغ نصيبها منهُ عشرة الاف جنيه . وسيدة اخرى اسمها ماري اندرصن بياع من صورها مئة الف صورة كل سنة . وفتاة اميركية بيعَ من صورها في ساعتين من الزمان ما بلغ ربحها منهُ الفي جنيه . وفي بلاد الانكليز الآن ست سيدات تربح كلٌّ منهنَّ من الف جنيه الى خمسين جنيهًا في السنة من بيع صورها ولا تباع صورة في اوربا كما تباع صورة ملكة الانكليز ولولاق ان تتقاضى ربحًا من بيع صورها لبلغ ربحها من ذلك الوفًا كثيرة من الجنيهات

ويدخل في هذا الباب حفر الصور باليد او بالوسائل الميكانيكية او الكيماوية حتى تأتي منطبقة على الصور الزيتية او الشمسية وسنعود الى هذا الموضوع في جزء تالٍ